تربية

دنيز مشنتف
denise.mechantaf@gmail.com

سمير قسطنطين: الدور التربوي للمدرسة لم ينتهِ شرط العودة إلى الصفوف في أيلول

سؤال طرح نفسه في الفترة الاخيرة بعد مواصلة تلامذة لبنان التعلم من بعد: هل انتهى دور المدرسة وما هو دورها في الاساس، التعليم ام التربية؟ في الواقع، هناك تخوف من اطالة امد التعليم بواسطة الانترنت الى ما بعد ايلول المقبل، لأن التلامذة سيخسرون حينها ما اكتسبوه سابقا من معلومات ومعرفة في قاعات الصف

الاختصاصي في ادارة الاعمال والتربية والاعلام مؤسس "وزنات" للاستشارات والتدريب على تنمية المهارت في حقول التربية سمير قسطنطين.

دور المدرسة لم ينته، لا في التربية ولا في التعليم، لكنهما يحتاجان الى ركيزة ثالثة في عالم يتغير بسرعة مذهلة، ركيزة تنمية المهارات على يد معلمين يتخرّج على ايديهم من يشبههم. علما ان التراجع التربوي سيزداد في حال بدأنا السنة الدراسية المقبلة بالاسلوب التعليمي نفسه، اي بواسطة الانترنت.
في لقاء مع "الامن العام" يتحدث الاختصاصي في ادارة الاعمال والتربية والاعلام، مؤسس "وزنات" للاستشارات والتدريب على تنمية المهارات في حقول التربية سمير قسطنطين عن المشكلات التربوية في لبنان وسبل حلها.

■ سؤال يطرح نفسه حاليا، بعد غياب التلامذة عن مدارسهم مدة عامين دراسيين بعيشهم تجربة التعلم من بعد، هل دور المدرسة في الاساس هو التعليم ام التربية؟

□ لطالما كانت عبارتا التعليم والتربية متداخلتين في اذهان عدد كبير من الناس. لفترة طويلة، ظن الناس العاديون بمن فيهم المربون ان التعليم هو التربية، وبالتالي، فان تعليم الولد في المدرسة يعني تربيته. لكن في الحقيقة هناك فرق كبير بين الاثنين. التعليم وبشكل عام هو ما رسخ في اذهاننا منذ مدة طويلة. هو يعتمد، بشكل اساس، على مشاركة المعلم او المعلمة تلامذتهم المعلومات والمعرفة. في هذا الاطار، لا يعود مهما ما اذا كان التعليم اشبه بالتلقين، فالفكرة الاساسية المعتمدة فيه هو ان ينقل معلم الصف الفكرة او المعلومة او المعرفة الى التلامذة الجالسين امامه. فالتعليم هو كلاسيكي، لا يتغير اذا اصررنا جميعنا على اننا معلمون ولسنا اكثر من ذلك. اما التربية فهي امر مختلف، فعندما نربي الولد نحن نربيه على قيم محددة يحتاج اليها في حياته الخاصة والعائلية وفي مساره المهني في وقت لاحق. مثلا، نربي الولد على الاحترام وعلى قبول الاخر المختلف وعلى قيمة صنع السلام وعلى كل انواع القيم المتعلقة بالاخلاق والحياة العامة بشكل عام.

> **المعلمون لم يخضعوا لدورات تدريبية على المناهج الالكترونية**

■ كيف نربي الولد على احترام الاخر المختلف من خلال التعليم؟

□ مثلا، عندما تشرح معلمة الكيمياء لتلامذتها في الصف الفرق ما بين protons وelectrons اي السلبي والايجابي من الشحنات لتقول لهم، اذا التقى شاحن ايجابي مع شاحن سلبي سيجذبان بعضهما البعض. حتى هذه اللحظة المعلمة تعلم الكيمياء، اي بكلام اخر، هي تنقل جزءا من المعرفة لتلامذتها. لكن، اذا استفاضت هذه المعلمة ووسعت نطاق الدرس ستقول ان التقاء الايجابي بالسلبي لم يكن مستحيلا. من هنا، انطلقت الى فكرة ان السلبي كان الاخر المختلف عن الايجابي، وقد التقيا وجذبا بعضهما البعض. فهي بذلك تكون قد ادخلت الى اذهانهم قيمة قبول الاخر المختلف من دون عناء كبير. اما اذا كانت المعلمة ماهرة، فستعلم تلامذتها هذه القيمة من خلال سؤال توجهه اليهم على هذا الشكل: ماذا نتعلم في حياتنا الخاصة عن التقاء شاحنين متناقضين، او في الحد الادنى، مختلفين عن بعضهما البعض؟ بذلك تكون قد اعطتهم فرصة كي يصلوا شيئا فشيئا الى تبني قيمة قبول الاخر المختلف عنهم.

■ ما دور الاهل في هذا الجانب، اي مسؤولية عليهم ان يتحملوها كشركاء للمدرسة في تربية اولادهم؟

□ هناك اهل مثقفون ويعملون في بعض المؤسسات التي تؤمن تنمية مهارات موظفيها. تاليا، فان البعض منهم خضعوا لدورات تدريبية في هذا المجال. لكن الامر يبقى محصورا على عدد محدود، اذ ما هي نسبة الذين يعملون في لبنان في مؤسسات تؤمّن فعلا تنمية مهارات موظيفها؟ هناك اهل يملكون بالفطرة مهارات التواصل، هم لم يتدربوا عليها لكنهم ميالون الى التواصل بايجابية مع سائر الناس. هؤلاء كنا نسميهم في قرانا بـ"ونسيين" او "عشراويين"، ما يعني ان من يحملهما هو شخص يتواصل بايجابية مع الناس بشكل سلس وجيد. ◄

المقال

العودة إلى الصفر

مخطئ من يعتقد ان هناك موقعا ما في المجتمع سيعوّض الحياة المدرسية عند الاولاد. اهمية عيشها يوميا بتراكم ما تقدمه من تنوع بالتساوي بين سائر التلامذة، تكمن في المناخ العام الذي تخلقه ليتحول تاليا الى مناخ خاص يعني كل تلميذ مباشرة، وكأن الامر كان موجها الى كل واحد منهم شخصيا. هكذا يتعامل الاولاد مع ما يتلقونه.
الكتب المدرسية واحدة لكل تلامذة لبنان، منها يتعلمون حاليا عبر الانترنت. لكن ما يكتسبونه من الحياة المدرسية اليومية لا يقتصر على ما تتضمنه هذه الكتب من معلومات او معرفة. ما نعني به هنا، هو التنشئة الشخصية على مفاهيم جديدة معاصرة لكل جيل، مفاهيم ينمو معها الولد ليكتشف مكانه وما يحبه في نفسه وفي الحياة والاخرين. الاهم ماذا يريد من كل هذا الاكتشاف، خصوصا بعد احتكاكه المباشر برفاقه في الصف او في ملاعب المدرسة او في مشاركتهم الانشطة الرياضية والفنية، ليكون ذلك في مضمونه ونتيجته تنشئة على معنى الرفقة وكيف يكوّنها، خصوصا مع الجنس الاخر من اجل ان يبني منذ صغره معادلة التساوي مع الاخرين.
من هذه الخطوة التي تمهد لها المدرسة باسلوب غير مباشر، يكتشف الولد كيفية بناء علاقاته الاجتماعية منذ صغره بمفهوم منفتح عن الصداقة بين الفتاة والشاب كرفاق يتشاركان تفاصيل الحياة المدرسية بكل تنوعها.
ما احرزته المدارس المختلطة في لبنان على هذا الصعيد مهم جدا، باعتباره الخطوة الاولى نحو عيش تجربة التساوي بين المرأة والرجل منذ الطفولة ما قبل خوضهم المعارك في المجتمع مستقبلا. هذا التحدي يبدأ بالمنافسة على النجاح المدرسي ليكون مقدمة لما هو اوسع في ما بعد. فالمدارس المختلطة تهيىء الفتاة والشاب ذهنيا على ان يكونا الى جانب بعضهما البعض كرفاق في العلم والمعرفة بالتساوي، مما يعتبر تمهيدا لتأهيلهما لادراك معنى الزمالة وقيمتها في العمل في وقت لاحق. التنشئة على هذا المفهوم الحضاري، لا تتضمنه الكتب المدرسية الموحدة في لبنان كعامل مطوّر للمجتمع من خلال افراده.
في كل مجتمع هناك توزيع للمواقع المسؤولة فيه بتحديد الامكنة لها على ان يكون لكل مكان منها دوره ومهمته الخاصة به. ارتباط الذاكرة بالمكان يعطي اهمية للمكان، بالدور الذي لعبه واداه في حياة الفرد بشكل عام، فكيف اذا كان طفلا نشأ وتربى وتعلم فيه؟ فالمدرسة مثلا، هي المكان المعد والمقرر سلفا لمهمة تنشئة افراد كل مجتمع، عبر اعتماد مناهج تربوية محددة تجعل الجميع متساويين، تحفيزا لاعداد الصفوف كي تكون منبرا لهم للمنافسة على النجاح والتمايز عن الاخرين.
لعبة التحدي هذه تعطلت اخيرا بالاسلوب التربوي الذي لا بد منه حاليا، اي بالتعلم من بعد. معه، فقد الاولاد المحفز على التفوق على الاخرين والتمايز عنهم. فبدلا من مواصلة تحدي رفاقهم يوميا في الصف وفي الملعب المدرسي، باتوا يتحدون انفسهم امام شاشات الكومبيوتر بفقدان الثقة بما يفعلون، ما يعني عودتهم الى الصفر.

دنيز مشنتف
denise.mechantaf@gmail.com

■ هل يتوافر التعليم والتربية في المدارس حاليا بعيدا من الواقع المستجد الذي فرض التعلم من بعد في هذه المرحلة، وهل تراهما كافيين لتخريج تلميذ قادر على مواجهة الحياة؟

□ زمن التعليم منفردا، اي التعليم من اجل نقل المعارف قد ولى منذ ثلاثة عقود على الاقل. اعتقد ان زمن التعليم والتربية مجتمعين قد ولى، او هو في طريقه الى الزوال كميزة تربوية كبيرة. قد يكون ما اقوله جريئا لا يستسيغه البعض، لكنني اعتقد ان التعليم والتربية باتا في حاجة الى ركيزة ثالثة هي ركيزة التنمية، تحديدا ركيزة التنمية على المهارات. قديما كنا نسرّ بنقل المعرفة الى الولد فنسميه ولدا متعلما، وعندما تغير لقب المعلم من معلم الى مرب اصبحنا نسرّ اذا علمنا الولد وربيناه. لكننا في الوقت الحاضر، نحن في حاجة الى نقل المعرفة الى التلميذ، هذا ما نسميه التعليم. نحن في حاجة ايضا الى نقل القيم الى التلميذ لنسمي ذلك تربية، اضافة الى حاجتنا الى تنمية مهاراته ايضا لكي يستطيع هذا التلميذ وضع المعرفة والقيم حيز التنفيذ حيث يعيش ويحيا. نركز دائما على ثلاثة انواع في المهارات: مهارات التواصل، مهارات العمل الفريقي، ومهارات حل المشكلات. اقول هذا الكلام، لاننا في لبنان وفي العالم، في حاجة الى ان نخرّج من مدارسنا تلامذة متمكنين في المعرفة، لديهم قيم اخلاقية سامية وفي الوقت نفسه ان يكونوا قادرين على التواصل الايجابي في محيطهم كي يعملوا معا كفريق متماسك لا كافراد لديهم القدرة على حل المشكلات، او في الحد الادنى معرفة ادارة النزاع بشكل جيد. ماذا ينفعنا اذا كان خريجونا على مثال اينشتاين في ذكائهم، وهم غير قادرين على التواصل الايجابي مع الذين حولهم؟ المعرفة لا تولّد المهارات. في اختصار، نحن في حاجة مع اولادنا الى مزيج رائع من التعليم والتربية وتنمية المهارات.

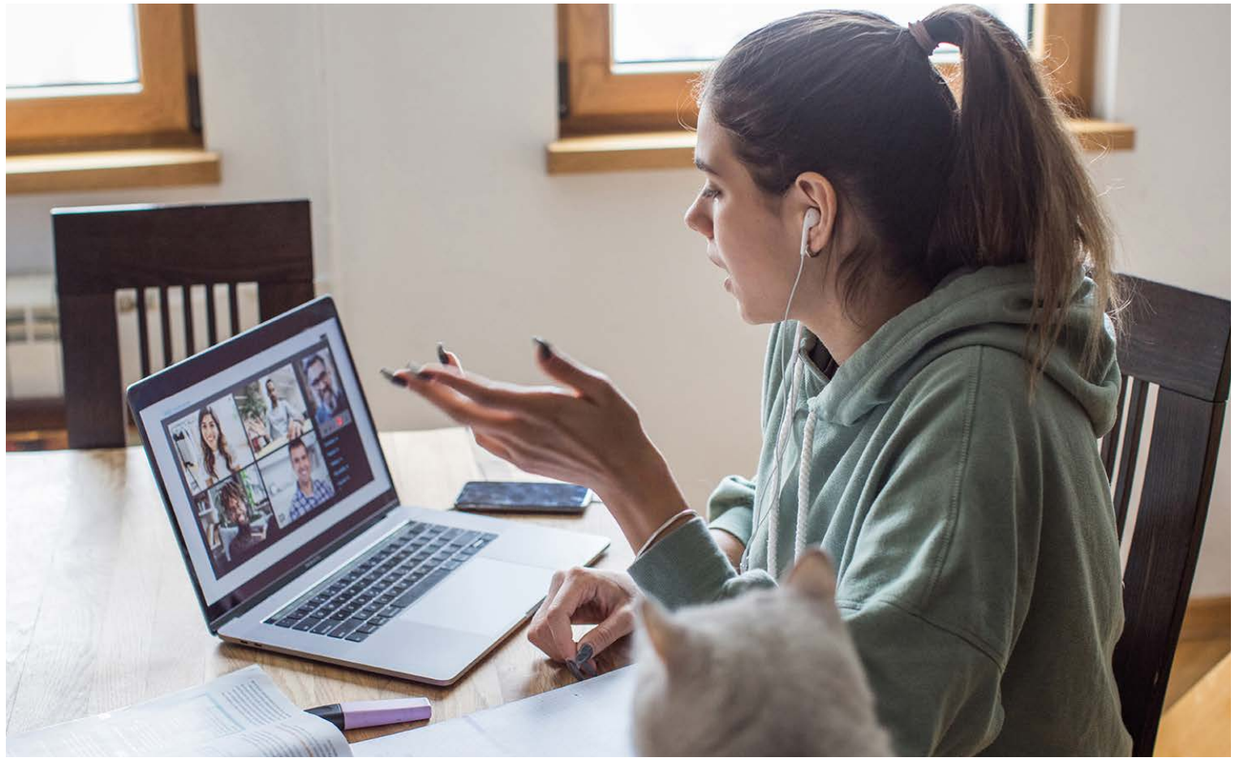

التعلم من بعد لا يحقق اكثر من 70% من الاهداف التربوية.

■ هل ترى ان تحقيق هذه الخطوة سيكون امرا سهلا؟

□ كلا. ساكون صادقا معك، تحقيق هذا الامر عبر المدارس فقط ليس امرا سهلا. قد لا ننتبه احيانا الى حقيقة دامغة موجودة في العالم العسكري. فاذا اراد ان يكون العسكري مغوارا سيخضع للتدريب على يد ظابط مغوار. طبعا، سيتخرّج على يديه من يشبهه وسيكون هذا الضابط هو من صنعه مغوارا. لذا، اذا اردنا تخريج تلامذة لهم من المعرفة وحسن التربية والمهارات ما يكفي لكي يكونوا نموذجا حيا في علم يتغير بسرعة مذهلة فاننا في حاجة، في الاساس، الى معلمين لديهم من الكفايات العلمية والقيم والمهارات ما يكفي لكي يتخرّج على ايديهم من يشبههم في الحياة. هذا الامر غير متوافر بشكل كاف في المدارس، خاصة كانت ام رسمية. العمود الفقري في هذا المجال هو المعلم او المربي او المنشّىء، علما ان من يتولى عملية تنمية المهارات هو المدرب اي (trainer). نحن في حاجة الى موارد بشرية في مدارسنا يكون فيها الشخص معلما (teacher) ومربيا (educator) ومدربا (trainer). هذا الامر ليس سهلا كونه يحتاج الى تغيير الذهنيات بشكل جذري، والى ميزانيات كبيرة كي يتحقق. لهذا السبب اعتقد ان مشوارنا في هذا المجال طويل جدا.

■ بعد عيش التلامذة تجربة التعلم من بعد نتيجة غيابهم عن المدرسة عامين دراسيين، هل تعتبر الدور التربوي للمدرسة قد انتهى؟

□ كلا لم ينته. لا يختلف اثنان على اهمية دور المدرسة الذي يعتبر اساسيا في موضوع التعليم، الى حد اعتبر فيه الاهل ان هذا الدور هو للمدرسة فقط. هذا المفهوم ليس جديدا، ويصوّر هذا المثل ما كان سائدا من قبل في هذا المجال حين يأخذ والد ولده الى كاهن الضيعة كي يعلمه فيقول له "يا ابونا هيدا ابني، اللحمات الك والعضمات النا". ماذا يعني هذا المثل الشعبي في قرانا حاليا؟ يعني ان هناك اعترافا كاملا من الاهل بدور المدرسة في التعليم، علما ان دورها في التربية موجود ايضا وبوفرة. فتسمية المعلم بالمربي هو نتيجة اعتراف الجميع بهذا الدور الاساسي. لكن هناك قناعة لدى المسؤولين في المدرسة تعتبر الاهل شركاء في التربية. قد لا يكون الاهل شركاء في التعليم مثلا، بسبب مستواهم العلمي احيانا، لكن شراكتهم في موضوع التربية يتوقع منها ان تكون كاملة. اما في مسألة تنمية المهارات، فانا اعتقد ان هناك دورا كبيرا لمعلمي ومعلمات المدرسة في هذا المجال. فهؤلاء هم على تماس اكبر من الاهل في ما يخص مهارات التواصل وحل المشكلات والعمل كفريق.

■ ما الذي تتوقعه من اسلوب التعلم من بعد وتأثيره على الاولاد مستقبلا؟

□ التعلم من بعد هو كما نقول في بعض الاحيان عن الطلاق، اي ابغض الحلال.

التراجع التربوي سيزداد اذا بدأنا السنة الدراسية بالاسلوب نفسه

اذا طال امد التعلم من بعد سيخفض مستوى مكتسبات طلابنا

اعني انه فرض علينا، لذا علينا جميعاً ان نتعاطى معه بايجابية. لم نعد نملك ترف "الغنج" في هذا الموضوع. انا شخصيا اعتقد ان التعلم من بعد، ولاسباب عديدة، لا يحقق في احسن الاحوال اكثر من 70 في المئة من الاهداف التربوية والتعليمية التي يرغب المعلمون والمعلمات في تحقيقها. قد يحزن كلامي هذا بعض التربويين الذين يعملون بجد لا نظير له، واكاد اقول ليل نهار كي يتمموا المناهج ويحققوا الاهداف. لكنني اعطي هذه النسبة كنسبة عامة لكل معلمي لبنان ومعلماته. هذا هو المعدل لتحقيق الاهداف في حده الاقصى. هناك عوامل عديدة تقف ضد تحسين المستوى المتبع حاليا. السبب، لم يكن المعلمون بشكل عام مدربين كفاية على استعمال التقنيات مثل power point presentation او الفيديو وعمل المجموعات في التعليم بشكل عام. في بعض المدارس كان التعليم لا يزال حتى اليوم اشبه بالتلقين، علما ان المناهج المتبعة في لبنان لم ترافقها في اكثر الاحيان مناهج الكترونية، ولو تم ذلك لاعتبر الامر مساعدا للمعلمين والمعلمات في هذه المرحلة، اضافة الى ان مناهجنا ورقية. لهذا السبب كان من الصعب ان يتكيف المعلمون معها. التعلم من بعد في حال طال امده، اعتقد انه قد يخفّض من مستوى وغنى المكتسبات التربوية التي كان يكتسبها اولادنا في التعليم العادي داخل قاعات الصف. لكن اذا توقف الامر عند هذا الحد وعدنا في ايلول المقبل الى الصفوف، فان الضرر سيبقى محدودا على الرغم من عدم قلته. لكن اذا بدأنا السنة الدراسية المقبلة بالاسلوب نفسه، فان التراجع التربوي سيزداد وسيترك اثرا غير محمود العواقب. نتكل هنا على التراكم التعليمي داخل قاعات الصف الذي اختبرته مدارس لبنان في السابق كي نخفف من التأثير الحالي. نأمل في الوقت نفسه ان لا يطول الوقت ونحن نعلّم من خلف شاشات الكومبيوتر.

د. م.